

التفسير المطول - سورة مريم 019 - الدرس 06-06: تفسير الآيات 77 - 98 ، الغيب .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 15-01-1988

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علمًا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الترابط الوجودي بين الكفر والانحراف :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس السادس من سورة مريم .

وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى : **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَوْتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا * أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾** .. فهذا الكافر الذي أنكر عظمة الله عزوجل ، ولم يعبأ بآياته ، لا آياته القرآنية ، ولا آياته الكونية ، هذه الآيات التي بثها الله في السماوات والأرض لم يعبأ بها ، استخف بها ، لم تلفت نظره ، ولا آيات القرآن المُعْجِزة ، لا هذه ولا تلك ، الكفر الإنكار والإعراض ، والإيمان التصديق والإقبال ، المؤمن يصدق بآيات ربه الكونية والقرآنية ، ويقبل عليه ، والكافر يكذب بآيات ربه الكونية والقرآنية ، ويُعرض عنه ، فالكافر يكذب بآيات الله ، لا يعبأ بها ، لا يؤمن بها ، لا يوقرها ، لا يُعظمها ، لا تملأ قلبه ، وهو بالمقابل يعرض عن الله عزوجل ، يدير ظهره لهذا الدين ، يلتفت إلى الدنيا ، ينكُب عليها ، تشغله دنياه ، يسعى لمصالحه ، **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾** أرأيته أيها المؤمن ؟ انظر إلى أخلاقه ، انظر إلى قيمه ، انظر إلى صفاته النفسية ، انظر إلى علاقاته الاجتماعية ، انظر إلى تعامله مع الناس ، انظر إلى الكبير الذي سيطر عليه ، انظر إلى العجب الذي استحوذ على لبّه ، انظر إلى حبه لذاته ، انظر إلى بغضه لآخرين ، انظر إلى قسوة قلبه ، انظر إلى إخلافه مواجهاته ، انظر إلى أخذه ما ليس له ، انظر إلى بذاءته ، انظر إلى حقارته **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾** أي ..

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ (2)

سورة الماعون

هذا الترابط الوجودي بين الكفر وبين الانحراف ..

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَصْلَى مِنْهُمْ أَنْتَ هُدًى مِنْ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

سورة القصص

أرأيت أيها المؤمن؟ يَدْعُمُ هذه الآية آية أخرى :

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَدْاً إِذَا صَلَّى (10)

سورة العلق

انتهت الآية ، أي هل نظرت إليه؟ هل نظرت إلى أخلاقه؟ هل نظرت إلى علاقاته؟ إلى معاملته؟ إلى صفاته؟ إلى قيمه؟ **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِإِيمَانِنَا﴾** جعل الدين وراء ظهره ، جعل هذا القرآن العظيم مهجوراً ، لم يَرَ في هذا القرآن نظاماً معجزاً ، شاملاً ، كاملاً ، يصلح للتطبيق في كل مكان وزمان ، رأه كتاباً انقضى وقته وانتهى زمانه ، ولا يصلح لهذا الزمان **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِإِيمَانِنَا﴾** هذا الترابط .

قال عليه الصلاة والسلام : عن عبد الله بن عمر : أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطُّهُمْ بَابَيْهَا ، فَالنَّاسُ رِجَالٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ ، وَفَاجِرٌ شَقِيقٌ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ ، وَالنَّاسُ بْنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ التَّرَابِ ، قَالَ اللَّهُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ .

عارضه الأحوذى : خلاصة حكم المحدث : صحيح: الترمذى وابن حبان باختلاف سير

فالكافر من لوازم الكفر الإعراض ، ومن نتائج الإعراض الأخلاق الدمية ، ومن لوازم الإيمان الإقبال ، ومن نتائج الإقبال الأخلاق الفاضلة ، فكان الإيمان مجموعة من القيم الحقيقة ، لذلك الذي يميز المؤمن عن غير المؤمن ليس الصلاة والصيام ، لا ، الذي يميز المؤمن عن غير المؤمن أخلاقه العالية ، إن الصلاة كما قال عليه الصلاة والسلام دعائم لهذا الدين : عن عبد الله بن عمر :

بُنِيَّ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجَّ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ .

صحيح البخاري

هذه الخمس ليست هي الدين ، إنما بني عليها الدين ، فمن ظن الدين صلاة جوفاء ، وصياماً لا معنى له ، فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً .

لا يتحقق هدف على وجه الأرض إلا بتوفيق الله :

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِاِيَاتِنَا وَقَالَ لَاُوتَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ .. هذه الآية مطلاة ، بعضهم

قال في معناها : إن هذا الكافر يتبرج ، ويتحدى ، ويقول : حتى في اليوم الآخر لي حظ كبير في هذا اليوم ، ﴿ لَاُوتَنَّ ﴾ في اليوم الآخر إذا رُدِتْ إلى ربِّي مالاً وولداً ، وبعضهم قال : في الدنيا ، هذا الذي يحسب حساباتٍ دقيقة ، وينسى أنَّ الله عزَّ وجلَّ بيده كل شيء ، مستغنٍ عن رحمة الله ، مستغنٍ عن حفظه ، مستغنٍ عن توفيقه ، مستغنٍ عن إمداده ، مستغنٍ عن ألوهيته ، يقول : أنا سأفعل كذا وكذا ، يخطط لمستقبله ، سأشترى البيت في عام كذا ، سأتزوج ، وغاب عنه أنه ربما وقع ضحية حادثٍ طفيفٍ جعله مشلولاً ، ربما نَمَتْ بعض الخلايا في جسده نمواً غير منضبط فأصبحت حياته جحيناً ، فهذا الذي يخطط لمستقبله ويقول : ﴿ لَاُوتَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ولا ينتبه إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الموفق :

قال يا قوم أرأيتم إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلْصَالَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) سورة هود

لا يتحقق هدف على وجه الأرض إلا بتوفيق الله ، لا يوجد زراعة ، ولا صناعة ، ولا تجارة ، ولا زواج ، ولا صحة ، ولالمعالجة ﴿ لَاُوتَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ يخططون وقد غفلوا عن الواحد الديان ، قالوا : هذه المركبة سوف تتطرق في الساعة كذا وكذا من القاعدة ، بعد سبعين أو ثمانين ثانية ستكون في المدار الأول ، بعد كذا وكذا ، تعود بعد ثمانية أيام ، وسنسميها : المتحدي ، وبعد ثوانٍ معدودة أصبحت كتلَّةً من اللهب ، مثل ، ﴿ لَاُوتَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ .

صاحب الأفق الضيق هو من يخطط لمستقبله ويغفل عن الله عزَّ وجلَّ :

الذي يخطط لمستقبله ويغفل عن الله عزَّ وجلَّ إنسانٌ غبي ، ضيق الأفق ، بل هو معتوه لأنَّه ينسى القوة الكبيرة في الكون ، في الكون حقيقةٌ كبيرةٌ هي كل شيء ، وهي الله عزَّ وجلَّ ، لأنَّ هذه الحقيقة إذا غفلت عنها لآلف سببٍ وسببٍ يمكن أن تُحقق في كل مسعاك ، لآلف سببٍ وسبباً يمكن أن تحبط كل أعمالك ، لآلف سببٍ وسبباً يمكن أن تكون صفر اليدين ، قد يفقد الإنسان بعض أعضائه ، قد يفقد عقله ، فهذا البيت الذي اشتراه لا يستمتع به ، يؤخذ

إلى المستشفى ، يفقد أهله ، يفقد أولاده ، فالإنسان كما يقول العامة - وهو كلام لطيف جداً - الإنسان تحت الطاف الله عز وجل .

لا تقل : سأفعل كذا وكذا ، هذا كلام الأحمق ، هذا كلام الجاهل ، هذا كلام الغافل ، هذا كلام الذي لا علم له ، قل : إن شاء الله ، إن مكنني ربي ، إن يسر لي ، إن وفقني ، إن أراد لي ، إن سمح لي .

فهذا الكافر الذي كفر بآيات الله الكونية والقرآنية ، لم يعبأ بها ، لم يعظمها ، لم تملأ عقله ، لم تملأ وجده ، لم تملأ حياته ، حياته ليست معنية بهذه الحقائق الدينية ، فلذلك يقول : سأفعل كذا وكذا ، وهذا تمثل أكثر ما يبذلو في المجتمعات الغربية ، يفعلون كل شيء ، وكأن الله غير موجود ، يأتي مرض يجعل حياتهم جحيناً ، يدب القلق فيهم ، ترتعد فرائصهم خوفاً من هذا المرض الذي انتشر الآن في بلاد الغرب بأرقامٍ خيالية ، إنه نقص المناعة ، أين تخطيطهم ؟ خططوا لدينا عريضة ، بنوها على أنقاض الآخرين ، بنوها على أنقاض الشعوب ، بنوها على فقر الشعوب ، وعلى استغلالهم ، فجاءت الأمراض والأوبئة ، وجاءت المخدرات إلى مجتمعاتهم ، فهذا الذي يقول : ﴿لَأُوتَيَنَّ مَا لَوْلَدْ﴾ هذا الكلام من لوازم الكفر ، من لوازم الغفلة عن الله عز وجل .

لا يعلم الغيب إلا الله :

ربنا سبحانه وتعالى يقول : ﴿أَطَلَعَ الْغَيْبَ﴾ .. أي هل عرف في علم الغيب أنه سيكون كذا وكذا كما خطط ؟ إنه أحمق .. ﴿أَمِ الْتَّحْذِيدُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ؟ هل سبق عهداً من الرحمن له أم أنه اطلع على علم الغيب ؟ أي لا يستطيع إنسان أن يقول : سأفعل كذا وكذا إلا بسبعين ، أن يكون قد اطلع على علم الغيب الذي هو من عند الله ، والذي لا يعطيه الله عز وجل إلا لمن يصطفى من أنبيائه .

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)

سورة الجن

﴿أَطَلَعَ الْغَيْبَ﴾ .. لا يعلم الغيب إلا الله ، وكل من يزعم أنه يعلم الغيب فهو كذاب ، قل لا أعلم الغيب ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام :
قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْرَثُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنَّمَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

سورة الأعراف

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو من هو في رفعة الشأن ، إنه قمة البشر ، إنه سيد ولد آدم ، إنه سيد الأنبياء والمرسلين ، ومع ذلك لا يعلم الغيب ، فمن يدعى ممن دونه أنه يعلم الغيب فهو كاذب ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ حتى يصح أن يقول هذا الكلام : ﴿لَا وَتَيَّنَ مَا لَأَوْتَيْنَا﴾ ﴿أَلَّا عَلِمَ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ سَيَكُونُ كَمَا أَرَادَ؟﴾ هل اتخذ عند الله عهداً والله سبحانه وتعالى لن يخلف عهده ؟ لا .

ردُّ الله لمن افترى عليه الكذب :

﴿كَلَّا﴾ أداة ردٍّ ونفي .. ﴿كَلَّا﴾.. فرقٌ كبيرٌ بينها وبين لا ، قد تُسأل : هل أنت جائع ؟ فتقول : لا ، تتفى أنك جائع ، لكن قد يُسأل الإنسان يقال له : هل أنت سارق ؟ لا ينبغي أن يقول كلمة : لا ، بل يجب أن يقول : كلا ليس هذا من شأني ، إن الذي يقول : كلا ، ليس ينفي فقط ، بل ينفي ويُرْدِع السائل .. ﴿كَلَّا﴾ الله سبحانه وتعالى يردع هؤلاء عن هذا الشطط في القول ، عن هذا القول الفاسد ، عن هذه الغرية ، عن هذا الكذب .

كل شيء مكتوب مسجل :

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُون﴾.. هذه الكلمة سُجِّلتْ عليه ، وسوف يواجه بها يوم القيمة ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الإنسان عليه أن يضبط لسانه مع حضرة الله عز وجل ، الذنب كما قال عليه الصلاة والسلام ، عن أنس بن مالك :

الذنب شُوْمٌ عَلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ ، إِنْ عَيْرَةً ابْنَلَيْ بِهِ ، وَإِنْ اخْتَابَةً أَثْمَ ، وَإِنْ رَضِيَ بِهِ

شاركة

ضعف الجامع : خلاصة حكم المحدث : ضعيف

لا ينبغي للإنسان أن يقول للإنسان مرتكب معصية : هنيئاً له ، لقد كنت شريكه في الإنم ، لا ينبغي أن تعيره ، تبتلى به ، يجب أن يكون الإنسان دقيقاً في ألفاظه دقةً مُتناهية ، وإلا وقع في شرِّ عمله ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ والله الذي لا إله إلا هو لو يعلم الإنسان مغبة هذه الآية أن الذي يقول ، ويتجه ، ويتحدى ، وينسى أنه عبدٌ فقير ، ينسى أن حياته بيد الله العلي الكبير ، ينسى أن رزقه بيد الله ، ينسى أن نجاحه بتوفيق الله ، ينسى أن الذي حَصَّلَهُ في هذه

الدنيا من رحمة الله ، هذا الذي ينسى : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ هذه الكلمات الغبيةُ الجاهلة سجلت في صحفته ، وسوف يحاسب عليها في الآخرة ، البشر مع من هُم من طينتهم ، لو أنك تورّطت بكلمة ، وكتبت عليك ، ثم استدعيت ووجهت بها ، ترتعد فرائصك من إنسان لا يملك من أمره شيئاً ، فكيف لو كانت هذه الكلمة بحقِ الواحد الديَّان وسألك عنها يوم القيمة وحاسبك عنها حساباً عسيراً ؟

توعد الله عز وجل بالعذاب الأليم لكل من يتغوه بكلمات فيها تكبر وتحذّ :

﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ .. هناك رجل عنده معلم للحلويات في قُطر عربي مجاور ، حدثني بعض من أثق بحديثه عنه قال : إنه يُصدِّر كل يوم طائرةً محملةً بهذه الحلويات إلى بعض دول النفط ، أي كان هذا الإنسان في أوج نجاحه ، الملايين تتدفق عليه ، دخل مرّةً إلى معمله وقد رأى بعض العمال لا يجيدون عَجْن العجين ، فوضع كتلة العجين على الأرض ، وعركها بقدميه ، وبذاته ، وقال لعماله : هكذا يُعرَك العجين ، ما هي إلا أشهر معدودة حتى قطعت رجله من ركبتيه ، هذا الذي يتحدى ، هذا الذي يتکبر ، هذا الذي يظن أنه كل شيء ، وهو لا شيء ، ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ كُتبْ هذه الكلمة في صحفته ، سُجِّلْتْ ، وسوف يواجه بها يوم القيمة ، وقد يواجه بها في الدنيا قبل الآخرة ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ وسوف يتحمّل مَعْبَةً هذه الكلمة ، سوف يلقى ألوان العذاب جزاءً وفاقاً لهذه الكلمات التي تفوه بها .

مع الموت نفقد كل شيء :

﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ .. هذا الذي أوتي المال والولد ، وأوتي الجاه العريض ، وجاءته الدنيا ، وهي راغمة ، واستعلى بها على الناس ، كل مكتسباته ، وكل عِزَّه ، وكل جبروته ، إنما جاءه من المال الوفير الذي هو بين يديه ، ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ لابدًّ من أن يموت ، وحينما يموت يفقد كل شيء في ثانية واحدة ، ليس في الكفن جيب ، هل أحدٌ منكم رأى في الكفن حياً لوضع دفتر الشيكات ؟ لا ، ولا جيب ، قماش أبيضٌ من أرخص أنواع الأقمشة يُلفُ به ، ويوضع في القبر ، أحد كبار الأثرياء بنى لنفسه قبراً هذا القبر آيةٌ في الجمال والفاخامة ، كَلَّفَ الملايين ، بناء في جبلٍ أخضرٍ مُشرِّفٍ على البحر ، أيٌ حتى لو مات هذا قبره ، كان يركب

طائرته الخاصة فوق البحر فسقطت الطائرة في البحر ، استقدمت زوجته مجموعةً من أمراء الغواصين من بلاد الغرب لانتشال جثتها من البحر ، ودفعت هذه الزوجة أيضاً مئات مئات الآلاف ، ما تمكن الغواصون إلا أن ينتشلوا جثة الطيار ، أمّا هو فلم يُتح له أن يدفن في هذا القبر ﴿وَرِثَةٌ مَا يَقُولُ﴾ .

أحد أكبر أغنياء العالم كان يفرض الدولة من حين لآخر ، دخل إلى بعض مستودعات الذهب التي يملكها ، فأغلق عليه الباب خطأً ، فجعل يصبح ملء فمه ، ولا أحد يستمع إليه ، إلى أن جرح يديه ، وكتب على حائط هذا المستودع : أغنى أغنياء العالم يموت جوعاً ﴿وَرِثَةٌ مَا يَقُولُ﴾ هذا البيت الذي تباھي به ليس لك ، البيت الحقيقي هو المثوى الأخير ، هذه المركبة التي تتيه بها ليست لك ، إنها لله وضعفت بين يديك ، أعرابي أجاب أدق إجابة ، وأصح إجابة ، وأوجز إجابة ، كان يقود قطبيعاً من الإبل قيل له : لمن هذا القطبيع؟ قال : الله في يدي ، أي هذا البيت لله تسكنه أنت الآن ، ليس لك ، والدليل لا بد من أن يخرج أحدهنا من بيته بشكلٍ أفقى دون أن يعود ، والذي يُعد بطلًا ليتحدى ولا يخرج من بيته ، مهما كنت قد اعتنيت بهذا البيت لا بد من أن تخرج منه بشكلٍ أفقى من دون أن تعود ﴿وَرِثَةٌ مَا يَقُولُ﴾ وكذلك مركته ، وكذلك محله التجاري ، وكذلك وجاهته ، وكذلك ممتلكاته ﴿وَرِثَةٌ مَا يَقُولُ وَيَأْتِيَنَا فَرْدًا﴾ .. أين جماعتك؟ .. ﴿وَيَأْتِيَنَا فَرْدًا﴾ ، أين عروتك؟ .. ﴿وَيَأْتِيَنَا فَرْدًا﴾ ، أين خطورتك؟ .. ﴿وَيَأْتِيَنَا فَرْدًا﴾ ، الإنسان أحياناً في الحياة الدنيا يوجد حوله أشخاص ، هذا حوله إخوة ، هذا حوله أقارب ، هذا حوله تلاميذ ، هذا حوله أتباع ، كل إنسان يعتز بمن حوله ، لكن البشر جميعاً سيقدمون على الله عزّ وجلّ فرادى ..

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ فُرَادَى كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْنَاهُمْ مَا حَوْلَنَاكُمْ وَرَأَءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْغُبُونَ (94)

سورة الأنعام

لا تخلو الحياة الدنيا من بعض الأصدقاء ، تتصل بفلان ، تُوسيط فلاناً الآخر صديق فلان ، يُخرجك بسند كفالة ، ممكن ، هذه في الدنيا ، فلان يكتب كلاماً لمصلحتك في الضبط ، هذا ممكن في الدنيا ، لكن يوم القيمة .. ﴿وَيَأْتِيَنَا فَرْدًا﴾ .

كل معبود بالباطل يصير عدواً لعاشه يوم القيمة :

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ هذا هو الحمق بعينه ، أن تتخذ من دون الله إلهًا لتعتَّر به ، فقد يعتَّر فلان بقربيه إذا كان في مكان مرموق ، وقد يعتز الإنسان

بماله ، ويَعُدُّ ماله إِلَهًا لَه ، يعتز به ، وقد يعتز فلان بكندا وكذا ، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلِهًةً لَيَكُونُوا لَهُمْ عِزًا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا﴾.. قال علماء التفسير : إن كانت هذه الآية موجّهة إلى من اتخذ أشخاصاً من بنى البشر ، اتخاذهم آلهة يعبدون من دون الله ، ويرجوهم ، ويخشونهم ، ويطيعونهم ليكونوا له عزراً ، فهواء الأشخاص يوم القيمة سيكفرون بهذه العبادة ، ويقولون : يا من كنت مغفلأً نحن بشر مثلك ، لا تستحق العبادة ، نحن ضعاف ، نحن مفترقون إلى الله ، إن هؤلاء الذين اتخذوا آلهة من دون الله سيكفرون بعبادتهم ، وسيشهدون ضدهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا﴾ وقال علماء التفسير : وإذا كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أصناماً فإن الله عز وجل ينطبق عليهم يوم القيمة ليكونوا شهوداً لإثباتٍ على كفر هؤلاء ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا﴾ .

من اختار الكفر يصبح همه فقط إيداء الناس وإيقاع الضرر بهم :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤْزِهِمْ أَزَّاً﴾.. معنى تؤزهم أي تهيجهم ، تستفزهم ، تحرّضهم ، الذي يجعلك في حيرة من أمر بعض الناس أن هذا الإنسان يحب أن يؤذى ، لماذا يؤذى ولا مصلحة له شخصية في هذا الأذى لكن يحب أن يؤذى ؟ هذا الإنسان تتطبق عليه هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لو أن الله عز وجل قال : ألم تر أننا أرسلنا الشياطين عليهم ، لكان هذا المعنى غير مستقيم ، لكن الله عز وجل يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي بعد أن كفروا ، واختاروا الكفر بمحض اختيارهم استحقوا أن تأتيمهم الشياطين ليؤزوهם أزواً ، فعندئذ تجد الكافر لا هم له إلا إيداء الناس ، يؤذيهم ، يسلّهم بعض ممتلكاتهم ، يأخذ ما عندهم ، يوقع بهم الضرر ، قد يكون الجار كذلك ، يرتاح إذا أوقع جاره في ورطة ، يشفى غليله إذا سبب لجاره بعض المتابع ، هناك أشخاص تحار في أمرهم ، لماذا يؤذون ولا مصلحة لهم في هذا الأذى ؟ هؤلاء كما قلت قبل قليل تتطبق عليهم هذه الآية ، لذلك قال بعضهم : إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك ، فهناك أشخاص يحبهم الله عز وجل يستعملهم في الخير ، إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه ، إذا أحب الله عبداً طرق الناس بابه ، إذا أحب الله عبداً أجرى الخير على يديه ، خلق الفضل ونسبه إليه ، فانظر كيف خلق الفضل ونسبه إليك ؟ وهناك أشخاص مفاتيح للشر ، يستخدمهم الله عز وجل لتأديب عباده ، فلا يجري على يديهم إلا الشر .

الإنسان بضعة أيام معدودة :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَرَأً * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدًا﴾ .. كل شيء معدود هو شيء قليل ، حياتنا في هذه الدنيا أيامها معدودة ، إذا هي قليلة ، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، كل شيء معدود هو قليل ، وهذا الذي يتمنى على الله عز وجل أن يدمّر هذا الجار الظالم ، أو هذا القريب الجاحد ، لا .. ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدًا﴾ .. أين أيامهم معدودة لابد من أن تتقضى ..
الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والنهار مهما طال فلا بد من نزول القبر

* * *

وسبحان من قهر عباده بالموت .

يوماً على آلِهِ حباء محمول
فاعلم بأنك بعدها محمول
كل ابن أنتي وإن طالت سلامته
فإذا حملت إلى القبور جنازة

* * *

واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذتنا .
القضية سهلة ، محسومة ، واضحة .. ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدًا﴾ أحياناً تُستخدم بعض العبارات يقال لك : فلان انتهى ، لكن القضية قضية وقت ، أي بقي له أيام معدودة ، أحياناً يقول الطبيب هكذا : انتهى . أي بقي له أيام ، ميتوس من شفائه ، وهذا الذي أعرض عن الله عز وجل ، وركب رأسه ، وعصى ربه ، وجد نعمته ، وتتّكب طريق الحق ، وأراد أن يطفئ نور الله ، الإنسان قد يقول : ليت الله يهلكه ، لا .. ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ له عند الله أجل لا ينقص ولا يزيد :

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ (129)﴾

سورة طه

لزاماً هلاك الكفار ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ﴾ .

تكريم الله للمؤمنين وفداً وفداً :

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدًا * يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ما هذا التجيل ؟ ما هذا التكريم يا رب العالمين ؟ هؤلاء المتقون يذهبون إلى الرحمن وفداً ، عالمة التكريم ، وعلامة الإسعاد ، وفداً كريم يقدّم على الله عز وجل ، يرحب بهم ، يقال لهم :

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمِرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنُهَا سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ طَبَّئُمْ فَادْخُلُوهَا حَالِدِينَ (73)

سورة الزمر

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا (26)

سورة الواقعة

﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ وَفَدْ رفيع المستوى ، نقام له الزينات ، وينزل في أرقى البيوتات ، ويقدم له ما لذ وطاب ، هذا شأن الدنيا ، الوفود رفيعة المستوى يُحْتَلُّ بها احتفالاً كبيراً ، فكيف بالمتقين الذين أمضوا حياتهم في طاعة الله ، أمضوا حياتهم في التقرب إليه ، أمضوا حياتهم في خدمة عباده ؟ هؤلاء يوم القيمة يحشرون إلى الرحمن وفداً ، هنيئاً لهم ، نرجو الله أن تكون منهم .

إهانة الله للمجرمين وسوقهم إلى الجحيم بالسلسل :

أما المجرمون فلا يحشرون ولكن يُساقون .. ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ لابد من أنكمرأيت أحداً ألقى القبض عليه بجريمة ، كيف يساق إلى سيارة رجال الضابطة ؟ هل يقابل بالترحيب ؟ وهل يقال له : تفضل ، أم يستقبل بالضرب والركل ؟ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ .. سوق : ألممن وعذناه وعداً حسناً فهو لأقيمه كمن متنفأه مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْصَرِينَ (61)

سورة القصص

محضر أي ألقى القبض عليه ، ووُضعت في يديه الكلاليب ، واقتيد إلى مصيره المحظوظ ، هذه هي الخسارة ..

الآلهة الذين يعبدهم الإنسان من دون الله لا يملكون له الشفاعة :

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ .. أي هؤلاء الآلهة الذين عبدوهم من دون الله لا يملكون لهم الشفاعة ، تماماً في الدنيا سرقة ألقى القبض عليها ، زعيم العصابة كان قبل إلقاء القبض عليه يصدر الأوامر لأفراد عصابته ، ويأمر ، وينهى ، ويطمئن ، فإذا ألقى القبض عليه مع أفراد عصابته ليقل أحدهم له : خلّصنا يا زعيم ،

يا معلم خلصنا ، ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ﴾ هؤلاء الآلهة الذين عبدتموه من دون الله ، يخاطب الله الكفار : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ﴾ لا يستطيعون كشف الضر عنكم ولا تحويله ، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعاً ، فإن كانوا عاجزين عن أن يملكون لأنفسهم نفعاً أو ضرًا فهم عن أن يملكون لكم نفعاً أو ضرًا أعجز .

المؤمن تناوله شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام :

﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ عَهْدًا ﴾ .. قال علماء التفسير : العهد هو الإيمان والعمل الصالح ، أي من كان في الدنيا مؤمناً ، ومن كان ذا عمل صالح ربما نالته شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام ، من مات غير مشرك بالله عز وجل ، هكذا ورد في بعض الأحاديث الصحيحة .

الافتاء على الله عندما اذعوا أن له ولداً وانفطار السماء لهذا القول :

﴿ وَقَالُوا ﴿.. العرب قالوا : إن الملائكة بنات الله ، واليهود قالوا : عُزَّيز بن الله ، والنصارى قالوا : المسيح بن الله .. ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ﴾ لم يتخذ الرحمن ولداً ؟ فهو كالبشر يحتاج إلى من يخليده ذكره ؟ فهو كالبشر في سنه ، في خريف العمر يحتاج إلى من يساعدته ؟

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)

سورة الإسراء

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْنُمْ شَيْئًا إِذًا ﴾ أي شيئاً عظيماً ، افتاءً كبيراً ، وصفاً لا حدود لفظاعته .

﴿ لَقَدْ جِئْنُمْ شَيْئًا دَّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَعَظَّرْنَ مِنْهُ ﴾ .. إذا كانت السماء بما فيها من أجرام تتقطّر أن سمعت أن هناك أنساناً يزعمون أن الله عز وجل اتخذ ولداً ، فما بال هؤلاء الذين يعقلون يزعمون هذا الرّاعم ؟! ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَعَظَّرْنَ مِنْهُ ﴾ من هذا القول الفظيع ، ﴿ وَتَشَقَّ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنَ وَلَدًا ﴾ .. أي هذا الجبل الأشم لو سمع أن هناك من يدعى أن الله عز وجل قد اتخاذ ولداً ، إن هذا الجبل ينهض ويصبح روكاماً .

الله تعالى ليس كمثله شيء وليس من شأنه أن يتخذ ولدا :

﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ .. سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، ليس بمتبعض ، ولا متجزئ ، ولا صورة ، لا يُسأل عنه بمتى كان لأنه خالق الزمان ، ولا أين هو لأنه خالق المكان ، وكل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك ، عَلِمَ ما كان ، وعَلِمَ ما يكون ، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴾ .

﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ هو أعظم من ذلك ، ليس كمثله شيء ، هو فوق كل شيء ، وليس تحته شيء ، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء ، ليس كمثله شيء .

كل مخلوق يأتي ربّه عبداً فرداً :

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴾ .. بما فيهم سيدنا المسيح عيسى بن مريم سيأتي الرحمن عبداً ، بما فيهم عزيز سيأتي الرحمن عبداً .

قدرة الله وإحاطته بكل شيء علماً :

﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدًّا ﴾ .. هؤلاء البشر معنى أحصاهم أي أحاط بهم ، وقد عَدَهُمْ عَدًّا ، أحياناً إنسان يهرب من مكان عمله فيوقع عنه رفيقه ، يرفع الدوام للمدير يرى أن الكل في دوامهم كالمعتاد ، والأمور تجري على ما يرام ، ويكون أحد هؤلاء قد خرج قبل نهاية الدوام ، فهذا الذي يقبع وراء مكتبه ليس في إمكانه أن يحيط بكل موظفيه ، وأن يحصيهم ، وأن يعَدَّهم عدًّا ، الإنسان قاصر ؟ معلوماته تأتيه من الآخرين ، لابد من أن يكلف أناساً بضبط الدوام ، لضبط الدخول ، متى دخل ؟ متى خرج ؟ لكن الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء ، لقد أحصاهم ، ما دام الله عز وجل يسمع صوت النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، نملة سوداء تمشي على صخرة صماء في ليلة ظلماء ، وما تسقط من ورقة إلا هو يعلمهها ، تجول في البساتين في الخريف ، ما أكثر الأوراق التي تتتساقط وعندَه مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مُبِين (59)

سورة الأنعام

لذلك : ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدًّا﴾ معنى أحصاهم أحاط بهم ، ﴿وَعَدَهُمْ عَدًّا﴾ فرداً فرداً ، حالة حالة ، ﴿وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِدًا﴾ أي الإنسان يوم القيمة كما قلنا قبل قليل : ليس له جماعة ، ولا أقارب ، ولا من يقوى شأنه ، ولا من يدافع عنه ، ولا من يتوسط له ، ﴿وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِدًا﴾ .

معاني قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا :

1 . الله سبحانه وتعالى يُلقي في قلب الناس جميعاً محبة المؤمن :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ .. والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله من إكرام للمؤمن إلا هذه الآية لَكَفَتْ ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ .. قال العلماء : المعنى الأول أن الله سبحانه وتعالى يُلقي في قلب الناس جميعاً محبة المؤمن .

فيسمع من في الكون أمر مُحبنا يُنادى له في الكون أنا نحبه

* * *

2 . الله تعالى سيؤتي كل إنسان سؤله :

وبعضهم يقول : إن المودة هنا تعني تحقيق ما يحب ، وكل مؤمن يحب أن يلقى الله ، يحب أن يدخل الجنة ، يحب رضوان الله ، الله سبحانه وتعالى سيؤتيه سُؤْلَهُ .

3 . هذه المودة بين الله وبين المؤمنين أثمن ما في الوجود :

والمعنى الثالث : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي هذه المودة بين الله وبين المؤمنين أثمن ما في الوجود ، يا محمد ، جبريل عليه السلام جاء سيدنا محمد قال له : يا محمد قل لصاحبك : إن الله راضٍ عن أبي بكر ، فهل هو راضٍ عن الله ؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ إذا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فالمودة مطلقة ؛ إما أنها بينك وبين الناس ، يجعل الله عزٌّ وجل قلوب الناس تهفو إليك ، يحبونك ويعجبون لهذه المحبة ، لأن الله عزٌّ وجل

تجلى عليك ، فجعل القلوب تهفو إليك ، أنت كمؤمن هكذا يحبك الناس ، ومن علامة صدق إيمانك محبة الناس لك ، ومن علامة النفاق بعض الناس لك ، علامة الإخلاص محبة الناس ، السنة الخلق أقلام الحق ، إذا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.. عن أنس بن مالك : المؤمنون بعضهم لبعضٍ نصحةٍ متوادون ؛ وإن بعثت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعضٍ غشّةٌ متخاونون ؛ وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم .

شيء آخر في الحديث القدسي :

عن معاذ بن جبل قال الله تعالى : وجئت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزورين في ، والمتباذلين في . وفي رواية قال : يقول الله - تعالى - : المتحابون في جلالي ؛ لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء .

هداية الرواة: خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح: أخرجه أحمد ، ومالك في ((الموطأ))

المعنى الأول .

المعنى الثاني أن الذي ترغبه وتحبه الله سبحانه وتعالى سيؤتيك إياه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هذا الذي أحبوه س يجعله لهم ، سيقدرهم به ، سيكافئهم به .
والمعنى الثالث : هو أنك إذا كنت في طاعة الله ، وعبدته حق العبادة يديلك منه ، إنك إذا في مقعد صدق عند مليك مقدر ، إذا يدافع الله عنك ، تشعر بهذه المودة ..
وهو الغفور الوارد (14) ذو العرش المجيد (15) فعال لما يريد (16)

سورة البروج

الموت مصير كل إنسان :

﴿فَإِنَّمَا يَسِرُّنَا بِإِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُذَرِّبَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾.. خصومون ، شديدو الخصومة .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسْ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ اذهب إلى تدمر حيث آثار التدمريين ، مملكة ذات شأن كبير كانت في بادية الشام ، وهذه آثارها تدل عليها ، اذهب إلى البتراء حيث قوم ثمود .

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (9)

سورة الفجر

اذهب إلى أهرامات مصر .

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ (14)

سورة الفجر

﴿ وَكَمْ أَهْلَكَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسْ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ هل هناك أحد يجيبك ؟
هل هناك أحد يذكرك ؟ هل هناك أحد تتحدث إليه ؟ ﴿ هَلْ تُحِسْ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزَا ﴾ صوتاً ، أحد الشعرا وقف في إيوان كسرى ، وقد نقشت على حائطه لوحة تصويرية
رائعة جداً عن معركة تاريخية جرت بين الفرس والروم ، فقال وقد كانت الصورة رائعة :
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِيَ حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِلَمْسٍ

خرس إذا نودوا ، وهكذا ، ونحن على هذا الطريق سائرون ، لابد من أن يأتي يوم لا يبقى فيه واحد منا فوق الأرض ، أبداً ، بعد مئة عام كلنا تحت أطباق الثرى ، كلنا في قبور
مبثوثة هنا أو هناك ، شاهدة ؛ هنا قبر فلان ، كان إنساناً ، كان موظفاً ، كان تاجراً ، كان
عالماً ، كان ذا شأن كبير ، كان أديباً ، كان مؤرخاً ، كان مهندساً ، كان طبيباً ، أين هم ؟
﴿ هَلْ تُحِسْ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزَا ﴾ لذلك قالوا : الدنيا ساعة أجعلها طاعة
والنفس طماعه عودها القناعة .

والحمد لله رب العالمين

